# المبحث الأول

## أثر دلالة السياق في المناسبات

### ❑ الكلمة بين حالتي الإفراد والسياق:

الألفاظ داخل السياق لها ترتيب ونظام، وهي بمفردها لا تخدم النظم بصورة مطلقة إلاّ إذا روعيت ووضعت في تركيب سياق العمل والآيات والنصوص، ولا تُقبل على إنّها نحو إلاّ أنّ تدخل في بناء الجملة، فترتب الوحدات الصرفية والكلمات، وتراعى الإعراب وتغييره للتعبير عن المعاني المختلفة، لذا فليس الكلام مجرد رصّ لمجموعة من الكلمات كيف جاء واتفق، وإنّما هناك قواعد وعلاقات ثابتة لكلّ لغة تحكم أماكن الألفاظ في السياق[1] والقوالب والصيغ الصرفية لها معانٍ وظيفية ودلالات معجمية تختلف في حالة السياق عنها في حالة الإفراد. فينظر للدلالة الإفرادية على إنّها بمثابة مادة أولية لا غنى عنها في التعبير عن معانيها ومقاصدها، صالحة للتشكيل في السياق وإعطاء معنى وفق الدلالة المحددة التي يقصدها المنشئ المبدع للكلام، وهذا المعنى المحدد يتعين عن طريق القرائن السياقية والمقامية التي لا تظهر إلاّ في حالة تركيب السياق[2]. هذا يعني أنّ الكلمات المفردة خارج السياق ما هي إلاّ مبانٍ تحمل معنيين: أحدهما صرفي لن يتحقق إلاّ في سياق، والثاني معجمي، وهذا المسلك الذي تسلكه عند الإفراد سرعان ما يخضع للتحديد في إطار السياق لخضوعه لعلاقات وقرائن تشكل وظائفها[3].

---

(١) ينظر: السياق والمعنى: ٦٢؛ وينظر: النحو والسياق الصوتي: ٢٠.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي: ٤٩، ٥٠.

(٣) ينظر: النحو والسياق الصوتي: ٤٦، ٤٩.

ودليل ذلك قضية الزمن في الفعل يبيّن اختلاف التعامل مع الكلمة، والنظام الزمني الصرفي بسيط بحيث يمكن التعبير عنه بالآتي[1]:

أ – صيغة فَعَلَ وتفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي.

ب– صيغة يفْعل وتفيد وقوعه في الحال أو الاستقبال.

ج– صيغة أفعل وتفيد وقوعه أيضاً في الحال أو الاستقبال.

ولكن عند دخول هذه الصيغ في التراكيب السياقية للآيات تختلف تبعاً للقرائن والعلاقات السياقية فيها، والروابط والرتبة التي تحكمها.

ومثال ذلك الاستعمالات القرآنية المختلفة للفعل (أتى)[2]:

١ – ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[3].

٢ – ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾[4].

٣ – ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[5].

٤ – ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[6].

وكذلك الفعل (جاء):

١ – ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ...﴾[7].

---

(١) ينظر: النحو والسياق الصوتي: ٤٩.

(٢) ينظر: النحو والسياق الصوتي: ٥١.

(٣) سورة النحل: ١.

(٤) سورة النحل: ٢٦.

(٥) سورة الشعراء: ٨٩.

(٦) سورة الإنسان: ١.

(٧) سورة البقرة: ٩٢.

٢- ﴿... وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

٣- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

٤- ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴾[3].

٥- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ... ﴾[4].

٦- ﴿...حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[5].

٧- ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ... ﴾[6].

٨- ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ ﴾[7].

نجد هنا أساليب و(دلالات) مختلفة ينسجم كلّ منها مع آياته، فصيغة (أتى) وكذلك (جاء) جاءت بصيغة الماضي، وتارة جاءت بصيغة الحال والمستقبل. وهذه المفارقة الكبيرة بين الدلالة الإفرادية التحليلية الأولى للصيغة

---

(١) سورة البقرة: ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران: ٨٦.

(٣) سورة النساء: ٤٣.

(٤) سورة النساء: ١٧٠.

(٥) سورة الأنعام: ٦١.

(٦) سورة الأنعام: ١٠٤.

(٧) سورة الأنعام: ١٥٧.

معزولة عن سياقها وبين دلالتها حال السياق[1].

يتضح ذلك من خلال تبيّن أواصر القربى بين ألفاظ المادة اللغوية الواحدة وانسجامها مع السياق وبتعدد النماذج يتضح كيف إنّ الكلمة في سياقها لها سلوك يختلف عن إفرادها[2]. فضلاً عن النبرات الصوتية والتناغم والإيقاع المتناسق الذي تتزينه الكلمة داخل سياق الآية، وكذلك الأسلوب المتناسب بين تراكيب الآيات.

**❑ أثر دلالة السياق القرآني فِي بيان معنى الكلمة القرآنية:**

تعد نظرية السياق أكثر قرباً والتصاقاً بعلم الدلالة، وذلك لدورها الرئيس فِي تحديد معنى اللفظة فِي النص وكشف مغاليقه، فالكلمة إذا وقعت فِي سياق ما لا تكتسب معناها وقيمتها ومقصودها إلاّ بمقابلتها لما سيق لها وما هُوَ لاحق لها أو لكليهما معاً[3]، وللسياق أثراً كبيراً على مقصود دلالة اللفظة، وتحديد هوية العبارة، ومعرفة المراد منه، وتحديد أسلوبه.

ويبدو لنا أنّ المعاني تجمعها علائق دلالية فِي حين تغيب هذه العلائق بين المعاني الأخرى فِي سياقات ومقامات وأحوال تختلف عنها[4].

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي: ٥١.

(٢) ينظر: ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم: ٩٠؛ وينظر: النحو والسياق الصوتي: ٥٠.

(٣) ينظر: السياق والمعنى: ٥.

(٤) ينظر: ظواهر أسلوبية فِي القرآن الكريم: ١٣٥.